الجانبين وتنحدر بوهاد مماثلة تكثر تحتها الاشجار من كل الاصناف . » (المصدر السابق ، ص ١٥٤) من هناك ذهب شمالا الى جنين حيث « تجف البحيرة في وقت مبكر من الصيف وتزرع تربتها المفرطة في غناها وخصوبتها بالخيار والبطيخ والذرة ومحاصيل صيفية اخرى . » (المصدر السابق ، ص ١٦٦) .

وباتجاهه غربا دخل ثومسون مرج ابن عامر ، حيث « التربة شديدة الخصوبة مقسمة الى مربعات من الحنطة والشعير والذرة الصفراء او القمح الهندي والذرة البيضاء والسمسم وحتى القطن ، وتتخللها شرائح داكنة من الارض البور ، وعلى امتداد التلال وفوق السطح تنحدر بساتين التين والزيتون الى السهل » (المصدر السابق ، ص٢٠٩).

وباتجاهه الى عكا اكتشف ثومسون ان سهلها كان « مزروعا وخصبا جدا كما يحكم على ذلك هذه الحقول الخضراء الواسعة.» (المصدر السابق ، ص ٢٥١).وكان الجليل يمتاز بكروم الزيتون والتلال الخضراء وذلك بسبب وفرة المياه وخاصة في سهل البطوف حيث « التربة فائقة الغنى . » (المصدر السابق ص ٣٠٣) . واخيرا وجد ان المنطقة الواقعة بين الناصرة وطبرية كانت خصبة ، « وهادها الخضراء وكروم الزيتون والحقول المتموجة بالحنطة تنطق بالسلام والخصب . » (المصدر السابق ، ص ٣١١) .

زار مارك توين فلسطين كسائح في العام ١٨٦٧ . وبجوار بحيرة طبرية قرب دان وجد نفسه « في واد اخضر عرضه خمسة او ستة أميال وطوله ١٥ ميلا . وتجري عبره الانهار التي تسمى منابع الاردن الى بحيرة الحولة ... تحيط بالبحيرة سبخة ينبت فيها القصب . بين السبخة والجبال التي تشكل جدارا للوادي من ناحية دان ، نصف الارض خصبة وترتوي من منابع الاردن » (**البسطاء في الخارج** ، تحرير سيجنت ص ٣٤٥ .) وقد قصد بالارض السبخة هنا تلك التي جففها واستصلحها المستوطنون الصهيونيون الاوائل .

سافر توين فيما بعد الى مرج ابن عامر حيث جبل طابور « يرتفع حوالي ١٤٠٠ قدم عن الغابة المخروطية الجميلة التي تحيط به ــ علامة الارض الشهيرة والتي تفرح العيون المجهدة بالنظر الوحيد الممل للصحراء السورية . تسلقنا الممر المنحدر الى قمته خلال فجوات الشوك والبلوط المهواة . ان المنظر يبدو من قمته جميل ففي الاسفل مرج ابن عامر الفسيح والمقسم الى حقول مربعة كلوحة شطرنج ، وتبدو القرى البيضاء المتلاصقة كنقط ناعمة على حدوده وتبدو الطرق والممرات البعيدة والقريبة كأنها خطوط قلم رصاص رفيعة . » (المصدر السابق ، ص ٣٧٥) .

غادر الجليل وركب جنوبا حتى دخل نابلس ، « بعد مرورنا بعدة قمم مكسوة بكروم التين والزيتون ... » (المصدر السابق ، ص ٣٩٦) وجد ايضا ان « الوادي الضيق الذي تقع فيه نابلس محروث والتربة سوداء وخصبة . انها مروية بشكل جيد وتكتسب خضارها بالمقارنة مع التلال القاحلة التي ترتفع على الجانبين . » (المصدر السابق ، ص ٣٩٨) وعن وادي القدس : « ... في الوادي وصلنا الى رياض غزيرة بالتين والمشمش والرمان واشياء شبيهة ولكن بعد ذلك اصبح المنظر فظا جبليا قاحلا.» (المصدر السابق ، ص ٤٣٩) .

نشر كلود كوندور في « التقرير الفصلي » (تموز يوليو ١٨٧٦) لصندوق استكشاف فلسطين مقالة بعنوان « خصوبة فلسطين القديمة » شرح فيها خصائص الارض الفيزيقية والطبيعية في تلك الفترة محاولا ان يقارن المواقع التي كانت موجودة آنذاك مع ما ورد في الانجيل ليستخرج اية تغيرات اساسية . « لم تتغير الوديان او السهول الصغيرة او التلال ، ولا زالت الحنطة والشعير والكروم والزيتون والتين والرمان هي المحاصيل الرئيسية للتربة ... ليس هناك تقريبا اية غلة طبيعية ذكرها الانجيل الا وهي موجودة في فلسطين الحديثة . » (ص ١٢٠) .

قسم كوندور فلسطين بعد ذلك الى مناطق جغرافية ــ فيزيقية ودرس كلا منها على